Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللون والتمام ، وإذا ذكروه فى الوصف بالنباهة والشهرة أرادوا به عموم مطلعها وانتشار شعاعها ، واشتراك الخاص والعام فى معرفتها وتعظيمها ، وإذا قرنوه بالجلال والرفعة أرادوا به أنوارها وارتفاع محلها ، وإذا ذكروه فى باب النفع والإرفاق قصدوا به تأثيرها فى النشوء والنماء ، والتحليل والتصفية . ولكل واحد من هذه الوجوه باب مفرد ، وطريق متميز ، فقد يكون المشبه بالشمس فى العلو والنباهة والنفع والجلالة أسود ، وقد يكون منير الفعال كمد اللون ، واضح الأخلاق كاسف المنظر ، فهذا غرض الرجل ، غير أن فى اللفظ بشاعة لا تدفع ، وبعدا عن القبول ظاهر(١٧) .

بالنسبة للبيت الأول أضاع البلاغيون معالمه ، ولم يلتفتوا إلى قوة التشخيص فيه ، والمنطق الذرائعى النفعى الذى يحكم على الأشياء من خلال علاقة آنية نفعية مباشرة . على أن أحدا لم يربط بين البيت وسياقه ، ولليل رموزه الخاصة وتألهه عند البدوى . لم يكن الليل لباسا ولا كان النهار معاشا للبدوى كما للإنسانية بعامة . منذ الجاهلية قال شاعرهم :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقد عجب بعض النقاد من تشبيه النعمان بالليل ، وإهمال تشبيهه بالنهار وكلاهما يدركانه لا محالة ، واستعمل بعضهم أساليب علم النفس – قبل نشأة علم النفس بمئات السنين – فراح يقرأ دلالة هذا التفضيل ويرجعه إلى أن النابغة كان يمقت النعمان فتنفست الرغبة فى الصورة ، وقال بعض آخر إن لليل رهبة ليست للنهار ، ولدخوله على البادية مهابة ووحشة . وبعد النابغة بأربعة عشر قرنا جاء إبراهيم ناجى ليقول :

وإذا النور نذير طالع وإذا الفجر مطل كالحريق

فيخالف كل عرف يرى النور بشيرا والفجر ميلادا ، وإذا كانت فضيلة المجاز أنه وسيلة هذه الرؤية الخاصة التى تعبر عن ذات الشاعر واستقلال رؤيته للأشياء فإن البيت الثانى من ثم سيكون أوغل فى التدليل على قوة الشاعرية وعمق النفاذ لبصيرة المتنبى . دعنا من فكرة تجريد الصورة إلى معنى فإننا نعتقد أن القضية بهذا التصور مغلوطة بقدر ما هى خاسرة ، ولو كان الأمر كذلك حقا لكان التعبير المباشر المحدد صاحب فضيلة على ما سواه – يتحدث العقاد

(١٧) الوساطة ص ٤٧٤ .